مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد 05 العدد03 جوان 2022 من ص: 664ـ680
ر س ع و (ISSN): 2602ـX618 / ر س ع و إ (E-ISSN): 2710ـ8031

الفرق العسكرية الجزائرية

في جيش الاحتلال الفرنسي (1830-1990)

Algerian military divisions in the French occupation army (1990-1830)

بوحوص شهيناز♦

جامعة سيدي بلعباس bouhaouschahinez@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/02/01 تاريخ القبول: 2022/05/07 تاريخ النشر: 2022/06/15

الملخص باللغة العربية: هدفت السياسة الفرنسية ومنذ الوهلة الأولى إلى تحقيق الاحتلال الشامل بالجزائر وذلك بكسب مؤيدين لها بالبلاد، يعملون لخدمة مصالحها العسكرية التوسعية. ومن بين السياسات الاستعمارية التي انتهجتها إدارة الاحتلال لتحقيق مشروعها هو حرصها على مبدأ التفرقة بين الجزائريين والقضاء على المقاومات الشعبية التي اندلعت منذ 1830، ومن أجل ذلك بادرت السلطات الفرنسية إلى إنشاء فرق عسكرية محلية لضرب المقاومة الشعبية و التوغّل داخل الأراضي الجزائرية، وكانت أولى هذه الفرق العسكرية المحلية: الفرق الزواوية، إلى جانب فرق القومية والصبايحية والقناصة الجزائريون. ناهيك عن سلك الرماة الجزائريين. لقد كانت هذه الفرق العسكرية بمثابة الدليل الذي يتعرف من خلاله الجيش الفرنسي على الأرياف والقبائل الجزائرية، إلى جانب ذلك فقد نالت هذه الفرق العسكرية شهرة واسعة في صفوف جيش الاحتلال وذلك بسبب حضورها القوي وقتالها الشرس ضد إخوانهم وأبناء بلدهم.

لقد كان إجراء تجنيد هذه الفرق العسكرية في صفوف جيش الاحتلال بمثابة الانطلاقة الفعلية لاستغلال الطاقات البشرية الجزائرية والاستفادة من منهم حيث كانت هذه الفرق في مقدمة الجيش وفي صفوفه الأمامية، فهو إجراء خدم كثيرا السياسة الفرنسية في تحقيق مشروعها الاستعماري داخل الجزائر وخارجها.

♦ المؤلف المرسل

الكلمـات المفتاحيـة: الـزواف؛ الفيلـق؛ فرقـة القناصـة الجزائريـون؛ الفـرق الصبايحية؛ سلك الرماة الجزائريين.

Abstract:

From the outset, the French policy aimed at achieving a comprehensive occupation in Algeria by winning supporters in the country, working to serve its expansionist military interests. 1830, and for this reason, the French authorities initiated the establishment of local military divisions to strike the popular resistance and incursion into Algerian territory. The first of these local military divisions were the Zawiya teams, along with the nationalist, Sabaih, and Algerian snipers teams. Not to mention the Algerian archers corps. These military divisions were the guide through which the French army became acquainted with the Algerian countryside and tribes. Besides, these military divisions gained wide fame in the ranks of the occupation army because of their strong presence and fierce fighting against their brothers and their compatriots.

The procedure for recruiting these military divisions into the ranks of the occupation army was the actual launch for exploiting the Algerian human energies and benefiting from them, as these divisions were at the forefront of the army and in its front ranks, a procedure that greatly served the French policy in achieving its colonial project inside and outside Algeria.

Keywords: Zouaves; Legion; Algerian sniper squad; Sabayeh divisions; Algerian archers corps.

مقدمة:

قامت النزعة الاستعمارية الفرنسية خلال القرن 19 على الاحتلال الشامل للأرض، وبالتالي بادرت القيادة العسكرية الفرنسية إلى وضع استراتيجية أساسها تكوين فرق عسكرية من الجزائريين لمواصلة توسعاتهم داخل الأراضي الجزائرية، فحينما بدأ التوسع العسكري في الجزائر طرحت فكرة استغلال الجزائريين كقوة مساعدة خاصة بعدما تأكد لهؤلاء القادة أن عملية التوسع ليست بالأمر الهين بفعل المقاومات التي نشبت في مختلف أصقاع البلاد. وهكذا سعت فرنسا إلى تدعيم جيشها بالعناصر المحلية بتشكيل فرق عسكرية جزائرية تستخدم كأداة يعتمد عليها في فرض السيطرة و إخضاع القبائل.

ولمعالجة الموضوع طرحنا إشكالية عامة تتمحور حول: لماذا أنشأ جيش الاحتلال الفرنسي فرق عسكرية جزائرية تابعة له؟ إلى ماذا كان يهدف من وراء تشكيل هذه الفرق؟ وما هو موقف الجزائريين من هؤلاء المجندين في صفوف الجيش الفرنسي؟ وما هو موقف العلماء الفتوى من هؤلاء المجندين؟

نحاول من خلال هذه الدراسة تحديد مجموعة من الأهداف من خلال التأكيد على الدور الذي لعبته هذه الفرق العسكرية بمختلف أنواعها في بسط السيطرة الفرنسية على الأراضي الجزائرية، وتحديد موقف الشعب الجزائري منها ، مع إبراز دورها في العمليات العسكرية المنفذة داخل الأراضي الجزائرية، إضافة إلى إبراز أن البعض منهم قد التحق بالمقاومة الوطنية.

ولمعالجة الموضوع فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي تحليلي، بالاعتماد على مجموعة من المصادر الأجنبية والوطنية التي قدمت دراسات من زوايا مختلفة بغية استعراض مختلف التوجهات التي كتبت عن هذه المسألة.

1- الفرق العسكرية الجزائرية التابعة لجيش الاحتلال الفرنسي:

1.1- فرقة الزواف:

أكدت جل الدراسات التاريخية المختصة أن المجندين الأوائل من الزواوين هم اللذين شكلوا النواة الأولى للمتعاونين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي منذ 1830م، حيث أن هذه الفرق العسكرية المشكلة من العنصر المحلى كانت في مستوى تطلعات القادة الفرنسيين إذ استفادوا من خدماتهم العسكرية في أرض يعرفونها جيدا وفي الوقت ذاته هي أرض جديدة على المحتل. لقد سعى الفرنسيون منذ البداية إلى تجنيد المحاربين الزواوين في صفوف جيوشهم بهدف إعطاء دعم محلي للفرق العسكرية الفرنسية التي كانت بحاجة إلى تدعيم تعدادها لتكسب القدرة على إخضاع والتوغل في المناطق إلى بقيت رافضة للاحتلال الفرنسي وذلك في كامل القطر الجزائري، [1]وفي هذا السياق ذكر "كاميل غوسي" عن كتيبة الزواف في عهد بيرتراند كلوزيل ، Bertaand comte Clauzel(1772-1842) قائلا: "**بمجرد أن قدم آغا الجزائر نداء للجزائريين لمن يريد العمل في الجيش الفرنسي حتى بدأ الجزائريون يتهافتون من كل حدب و صوب نهاية أوت، كراغلة، زنوج، عرب، قبائل، بل وصلوا حتى من بسكرة**".[2] الأمر الذي شجعه

1.Duc D'Aumale, **les zouaves et les chasseurs à pied**,ED,Michel Lévy frères, 1855,pp13-15

2 -Camille Rosset**, l'Algérie les commencements d'une conquête de 1830 à 1840**,paris,SD,p20.

على إنشاء قوات عسكرية تعمل على حرق المحاصيل الزراعية والمنازل وقتل الناس أطلق عليها كتيبة الزواف[3]وذلك وفق لقرار 10 أكتوبر1830، وقد أطلق الفرنسيون اسم الزواف على تلك الفرق، وهو تحريف فرنسي أخد من كلمة الزوافة حسب النطق التركي لكلمة زواوة[4].

التحق المتطوعون بفرقة الزواف ابتداء من 15 أوت 1830 وهذا بعدما راسل قائد الحملة الفرنسية لويس أوغست فيكتور دوبرمون Louis-Augustine-Victor de Bourmont(1773-1846) وزارة الحربية جاء فيها:"**يوجد في الجبال الواقعة شرق الجزائر مجموعة سكانية معتبرة، قادرة على مدنا بقوة عسكرية هامة فهنالك رجال عبروا لنا عن رغبتهم في الانضمام إلينا...**"[5] وعلى هذا الأساس أخد القادة العسكريون في السماح لهؤلاء المتعاونون بالانضمام إلى صفوف جيش الاحتلال الفرنسي، فبدأت المساعي الحثيثة نحو استقطاب العدد الأكبر من المحاربين المحليين، وكانت النتائج مشجعة لدرجة أنه لم يكد الكونت"دو بورمون" يغادر الجزائر في نهاية شهر أوت 1830م حتى استطاع استمالة العديد من المحاربين المحليين.و عند وصول الجنرال "كلوزيل" قرر الاعتماد على فرق الزواف في الكثير من عملياته التوسعية داخل البلاد، وفي سبتمبر

3-.الزواف: كلمة فرنسية محرفة لاسم قبيلة أمازيغية جزائرية (زواوة)، فمن وجهة اللغوية فإن مصطلح الزواق ليس سوى تحريف لكلمة "زواوة"، وحقيقة تعديلات نطقية ولغوية عربية وفرنسية حتى استقام على مصطلح "زواف" وهو من "زواوة" جمع "زواوي" وهو اسم يطلق على من يسكن جرجرة نجد هذا التفسير من الجانب اللغوي، لكن من الناحية التاريخية اعتقد أن هنالك مغالطات تاريخية حول هذا المصطلح حيث وظفته العديد من الأقلام العنصرية لترويج لأفكار لا تمت بالتاريخ ولا الحقيقة بصلة، فنجد أن الكثير من المغالطات التاريخية ارتبطت بالمصطلح بغية سمعة كل ساكنة منطقة القبائل بتهمة الخيانة والعمالة.لكن هذا لاينفي أن التاريخ سجل أسماء لمتعاونين من المنطقة خانوا الوطن منذ الوهلة الأولى.عموما فقد عمل الفرنسيون بعد احتلال مدينة الجزائرإلى إنشاء فرقة الزواف العسكرية على أنقاض فرقة زواوةالتي أنشأها العثمانيون، وكانت تتشكل فرق الزواف من المجندين المحليين وكان لباسهم مستوحى من اللباس الزواوي القبائلي المحلى، لكن بألوان العلم الفرنسي بغية التضليل وبث الكراهية والعنصرية للمزيد ينظر إلى:

1-Josef (S), **Histoire de deuxième régiment de zouaves**,ED,lachasset,paris,1848,p 5-6.

-Duruy(V), **le premier tirailleurs algérienne**,paris,1889,pp3-5,et - Juin Oclan,**livre d'or des tirailleurs indigènes algériennes de la province d'Alger**, tome ,1 ED,bastide,Alger,1866,p5.

2.Paul Laurencin,**Nos Zouaves**, paris, 1888,pp25-59

1830 م بلغ عدد المتعاونين المحليين الأوائل خمسمائة جنديا ومن هنا أنشأت فرقة الزواف العسكرية في 1 أكتوبر 1830[6]

وأسندت قيادة الفيلق لكل من النقيب "موميل"Maumel، و"دوفيفي" Duvivier وبقى الفيلقان يعملان بشكل مؤقت إلى حين صدور الأمرية الملكية المؤرخة في 21 مارس1831 م، والتي تقرر بموجبها تأسيس هذين الفيلقين بصفة رسمية أطلق عليها الجيش الزواوي، والذي ضم العنصر المحلي إلى جانب عناصر أخرى.

كما أحدث مرسوم 7مارس1833 م، تغيرا بارزا في سلك العسكري الخاص بفرق الزواف، وعلى إثر ذلك عين الضابط كريستوف لويس ليون لامورسيار– Christophe Louis-Léon Juchault de La Moricière(1806-1865)في 2 نوفمبر1833 قائدا عاما على فرق الزواف وأصبح الفيلق الجديد يضم عشر كتائب منها كتيبتين فرنسيتين، وحددت مدة عقد التجنيد بالنسبة للعنصر المحلى بثلاث سنوات قابلة للتجديد[7].

وقد تواصل التحاق المتطوعين بسلك الزواف وكان هذا نتيجة السمعة التي أصبح يكتسبها الزواف منذ بداية عملياتهم العسكرية، إذ صاروا يحتلون مكانة مهمة في الجيش الفرنسي وذلك بفضل القوة والخبرة والتعاون المستميت مع فرنسا، وقد أهلهم هذا التطور البارز إلى أن يكونوا في بعض الأحيان على رأس الجيش الإفريقي، وفي هذا الشأن يعلق "شارل اندري جوليان" قائلا: "**لقد تحسنت سمعة الزواوة بإطراد منذ أن صمدوا أثناء عملية الانسحاب من المدية في يوليو 1831 م ... وأثبتوا شجاعتهم واستماتتهم أثناء الحملة على منطقة معسكر في سنة 1835م، وكانوا أحسن قوة في نظر الدوق أورليون الذي شاهدهم في الميدان لقد ألحقوا أكبر الأضرار بالعدو، إنهم يجيدون التموقع، ولا يسارعون في إطلاق النار ويحسنون استعمار الأرض ويظهرون ذكاء بارعا في هذه الحرب التي يخوضونها، وسجلوا في الهجوم الذي شنه لامورسيار على قسنطينة سنة 1837م أمجادا باهرة ....**"[8]وأضاف قائلا: "**وأخيرا أصبحوا لا يطيقون وضعهم أكثر من أي شيء ولا يتحملون استياء إخوانهم في الدين الذين كانوا يرمونهم**

3.عميراوي أحميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص 84
أيضا: - محمد الصالح بجاوي، المرجع السابق، ص ص 154-155.

7 -BelkacemRecham, **les musulmans dans l'armée française (1830-1945)**,mercenaires 04 citoyens,Migrance,N38,p 27,voir aussi,duc d'aumal,op.cit,pp21-24,et Juin Oclan,op.cit,pp4-6 .

2.شارل اندري جوليان: **تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبداية الاستعمار 1827-1871** الجزء الأول ترجمة المعهد العالي للترجمة ، دار الأمة الجزائر ، 2008.

بالردة والخيانة، ومن المؤكد أن إقدام أب على إلقاء ولده إلى المحرقة كالمرتد الخائن كان ينم عن عدم تسامح الرأي العام مع الخونة".[9]

والجدير بالملاحظة أن مصطلح الخونة كان ولا يزال أكثر المصطلحات التي نعت بها هؤلاء المتعاونين والمجندين في فرق الزواف وهذه المصطلحات لم تأت من الجانب الجزائري فقط بل ومن حتي بعض الكتابات الأجنبية التي لامست الموضوعية في طرحها لمسألة الزواف.[10]

1.1.1-جهود الزواف في تثبيت أركان الاحتلال الفرنسي بالجزائر:

من بين المشاركات البارزة لفرقة الزواف المحلية، والتي كان لها الدور الحاسم في انتصارات الجيش الفرنسي على حساب الجزائريين حيث نجد أنها كانت في طليعة الجيش الفرنسي لاسيما بين (1830-1842) التي خاضت معارك مع الفرنسيين ضد جيش الامير عبد القادر بمنطقة الهبرة بمعسكر في 31 ديسمبر 1833م، كما شاركت في الحملة الثانية على قسنطينة سنة 1837م أين حققت العديد من الانتصارات الهامة التي خدمت بدورها المشروع الاستعماري.[11]

وابتداء من سنة 1842م أصبحت فرق الزواف مشكلة من متعاونين جزائريين فقط دون أن يختلطوا مع قوات الاحتلال، وأصبحت هذه الفرق تتكون من ثلاثة فيالق أين يتمركز الفيلق الأول في مدينة المدية، والثاني في مدينة تلمسان والفيلق الثالث في مدينة عنابة، حيث هاجمت هذه الفرق رفقة هنري أوجين فليب لويس أورولیون -الدوق دمال Henri-Eugène-Phlippe-Louis-D'Orléans,duc D'Amule(1822-1897) عاصمة الأمير عبد القادر المتنقلة "الزمالة" وتم القضاء على 300 مسلم جزائري وأسر 3000 آخر زيادة على النهب والتخريب الذي طال العاصمة[12].

3.نفسه، ص 267

1.Charles Robert Ageron, « **les militaires algérienne dans l'armée française de 1954-1962** »,collection mémoire, 2003 .voire aussi :Charles Robert Ageron , « le drame des harkis », **Revue d'histoire** ,N68,2000,pp 3-16

11-Blang (M), **souvenirs d'un vieux zouave**, tome 1,ED , saint-michel, paris, 1880,pp2-30

3.عبد القادر سلاماني، **الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832-1847**، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2010، ص 82 ، ينظر أيضا إلى:أديب حرب، **التاريخ**

يمكن القول أن فرق الزواف كانت من أهم وأقوى الفرق العسكرية المحلية التي شكلتها إدارة الاحتلال في الجزائر حيث ساهمت في العديد من المعارك والهجمات ونفذت العديد من العمليات التخريبية وسفكت دماء الأبرياء، كما قامت بإتلاف المحاصيل الزراعية وإحراق البيوت بعد نهبها. وفي هذا الصدد علق الجنرال "منتدون" Manetdouns الذي قاد الزواف في حرب القرم(28 مارس 1853-30 مارس 1856) قائلا:"**الزواويون سيقانهم فولاذية وهم بشوشون ودائما مطيعون ونشيطون...نعم يبدو أن للزواويين شيئا داخليا مثل القوة الذاتية التي تمنحهم الأمان والثقة بالنفس، فلا شيء إذن يوقف سرعة سيرهم وتقدمهم نحو الهدف، بحيث تراهم دائما يحثون السير وراء الفرسان والخيالة**".[13]

نجحت الإدارة الاستعمارية في تحقيق التوسع في الجزائر على أيدي الفيالق الفرنسية بالدرجة الأولى التي كانت تمثل سنة 1845م تسعة أعشار جيش إفريقيا وبلغ عدد المتعاونين المحليين المجندين طواعية في جيش الاحتلال سنة 1848م 6.600من مجموع 87.000 متعاون وعن هذا التطور علق "شارل انري جوليان"قائلا: "**وخشيت القيادة زيادة عدد القوات من الأهالي لعدم الثقة فيهم، ولارتفاع تكاليفهم إلى الضعف**"، [14]**وهذا ما يوضح ارتفاع عدد المتطوعين المحليين الراغبين في خدمة العلم الفرنسي**.

2.1-فرقةالقوم:

من بين الفرق المتعاونة المحلية التي سارعت إلى التعاون مع المحتل الفرنسي نجد فرق القومية أو مايطلق عليها القوم والتي تزعمها "مصطفى بن اسماعيل" ضد الأمير عبد القادر بالقطاع الوهراني أين وجد الفرنسيون في القومية فصائل ملحقة بالجيش لا تكلف الخزينة الفرنسية الكثير. وقد تكونت فرق القومية من الفرسان المحليين، وعرفتها الكتابات التاريخية المختصة بأنها: "**مجموعة من الرجال يحملون السلاح وهم مسخرين للخدمة العسكرية تحت قيادة شيخ القبيلة، الذي بدوره يخضع لسلطة الآغا أو الخليفة أو ضابط فرنسي، والقوم لا يتقاضون راتبا شهريا وإنما يتلقون مساعدات غذائية**

العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري1808-1847، ج1و2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ، ص ص 494-499

1-المبشر، العدد 1865/04/22، كذلك:محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق، ص 158

2-شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص469

وعسكرية...لقد كان وجودها يدعم العمليات الحربية للجيش الفرنسي دون أن تتحصل على أية حقوق مادية"[15].

ومن بين القبائل الجزائرية التي سارعت لتقديم الولاء والطاعة للفرنسيين والتعاون معهم نجد قبائل الدواير والزمالة والتي كانت تحت زعامة مصطفى بن إسماعيل اللتان حاربتا الأمير عبد القادر، ونشير هنا أن مصطفى بن إسماعيل رفقة أكثر من 500 فارس قومي من أتباعه شاركوا إلى جانب الجيش الفرنسي في هزيمة الأمير عبد القادر في معركة السكاك سنة 1836م[16].

قسمت فرق القوم إلى فرقتين: فرق المشاة والتي كانت تتقدم كتائب جنود الجيش الفرنسي في توسعاته لإخضاع المناطق والأقاليم التي كانت مقاومة للاحتلال الفرنسي، أما الفرق الثانية من القوم فكانت تعمل كشرطة أقاليم تابعة للسلطة الفرنسية بغرض حراسة ومراقبة القبائل التابعة للفرنسيين. عموما فقد أصدرت قيادة جيش الاحتلال الفرنسي تعليمتين الأولى بتاريخ 28 أكتوبر 1832م، وأما الثانية فكانت بتاريخ 17دسمبر1841م وذلك في إطار تنظيم الفرق الأهلية. لقد ساعدت فرقة القوم الاستعمار الفرنسي على فرض هيمنته من خلال عمليات التفتيش والتجسس خاصة بالمناطق التي كانت تشهد مقاومات أو ثورات أو انتفاضات ضد الاحتلال.

3.1-القناصة الجزائريون:

تزامن تأسيس سلك الزواف مع تأسيس فرقة محلية متعاونة أخرى أطلق عليها اسم القناصة الجزائريون والذين أدرجوا ضمن السلك العسكري الفرنسي "قناصة إفريقيا" وذلك بموجب قانون 9 مارس 1831م المدعم بالأمرية الملكية الصادرة بتاريخ 21مارس1831م، وكان الهدف من إنشاء هذا الفيلق هو تشتيت القبائل الجزائرية المساندة للأمير عبد القادر وخلفائه[17].

وفيما بعد صار الالتحاق بهذا السلك غير محدود العدد بالنسبة للجزائريين كما كان الأمر عليه في البداية، وبتاريخ 6 جانفي1833م تم تأسيس اللواء العسكري الثالث للقناصة في عنابة، وهذا اللواء الذي استمد عناصره من السريتين السابعة والثامنة التابعة لمقاطعة الجزائر، وابتداء من 27جويلية1835م أصبح كل لواء من الألوية الثلاثة لقناصة

15-الأشرف مصطفى، **الجزائر الأمة و المجتمع**، ترجمة ين عيسى ، الجزائر1983 ص 92

16-نفسه ص 94.

17محمد الصالح البجاوي: المرجع السابق، ص465 ، ينظر أيضا إلى : شارل أندري جوليان، المرجع السابق ص 165 .

إفريقيا يضم ست سرايا في كل منها مائة و ثلاثون(130) جنديا خيالا، وقد أضيف إلى فرسان كل سرية من سرايا هذا السلك تسعة و خمسون (59) جنديا من المشاة، وعمدت إدارة الاحتلال في 08 فيفري1838م إلى إلغاء فرقة القناصة الجزائريين التابعين لسلك قناصة إفريقيا رغم الأعمال الجليلة التي قدمتها هذه الفرقة المتعاونة وهذا حسب ما أوردته جريدة المبشر، إلا أن هذا الإلغاء لم يدم طويلا حيث سارعت السلطات الفرنسية إلى إعادة تنظيم هذه الفرقة في 24نوفمبر1838م[18].

وعن أهمية الخدمات التي قدمتها هذه الفرق المحلية المتعاونة علق الجنرال "أوري روبير"Uri Robert: "**لقد كانت الفصائل العسكرية الجزائرية دائما في مقدمة الجيش المعد، لتلقى الصدمات الأولى...وقد أدت هذه الفصائل العسكرية مهمتها على الوجه الأكمل، مما سهل للجيش الفرنسي مواصلة التوغل...**"[19].

أعطت قوات الزواف والقناصة والقومية دفعا قوية للاحتلال الفرنسي وخدمت مشروعه التوسعي، كما ساهمت في القضاء على المقاومات الشعبية وفي هذا الشأن نذكر مقولة "نابوليون الاول"[20](1769-1821) Napoléon Bonaparte :"**إن جاسوسا واحدا في المركز الملائم، وهو أفضل وأقوى من فعالية عشرين ألف جندي في ميدان المعركة" كما بقلق "أوجين ليونال" قائلا: "إن أهم ما يمكن للجزائر أن تقدمه لفرنسا هو الجنود**".[21]

ساهمت فرق القناصة الجزائريون في التصدي لمقاومة الأمير عبد القادر وباقي المقاومات والانتفاضات التي كانت تثار ضد الإحلال الفرنسي، حيث نجد أن الفيلق المحلى بلغ تعداده أربعة مائة و اثنان و خمسون (452) جنديا في الحملة التي شارك فيها ضد خليفة الأمير عبد القادر "الخليفة ابن سالم" في 05 أكتوبر1842م، أين هاجمت بعض القبائل الثائرة الجيش الفرنسي بمنطقة القبائل الذي قام بدوره بإرسال فيلق من القناصة المتعاونين تحت قيادة العقيد "ليبون" لمساندتهم وتشتيت صفوف المقاومة[22].

18جريدة المبشر، العدد 22-03-1865

19 محمد الصالح البجاوي: المرجع السابق، ص281

20 الفجر نيوز، العدد04 -07-2010

21Leonel Eugène : **la question Algérienne ,les colonnes** , Paris , 1869 P 95

22-Leonel Eugène ,op.cit,p96.

و في 13 أكتوبر1842ماحرق القناصون الجزائريون عدة قرى، وفي العشرين منه توجهوا نحو مليانة رفقة أربعة مائة وخمسة عشر (415) جنديا بغية القضاء على جيش الأمير عبد القادر وخليفته هناك. كما تم استدعاء فيلق القناصين في 21 مارس1843مأين اتجه سبعة مائة(700) جنديا نحو مدينة المدية حيث كان الجنرال "دومال"D'Aumale، و التحق حوالي خمسة مائة و تسعة و ثمانون (589) قناصا جزائريا بقوات جيش الاحتلال بمنطقة "دلس" وذلك بتاريخ 08 ماي1844م، وكانت المهام الموكل إليهم القيام بعمليات سلب ونهب وحرق الممتلكات وقتل الأبرياء العزل من الجزائريين.

وكثيرا ما كانت فرق القناصة الجزائريون يتقدمون لدعم فرق الزواف في المعارك والحملات التي كان الجيش الفرنسي يخوضها أثناء عملياته التوسعية في الجزائر، ففي 17 أكتوبر 1845م غادرت كتيبة من الزواف والقناصة الجزائريين المتكونة مائة وعشرون فردا(120) باتجاه مدينة بجاية لتقديم الدعم للنقيب "ميشال"Michel، كما قام هؤلاء المتعاونون بنهب مائتي 200 رأسا من الماشية، ناهيك على الرعب والفساد الذي مارسوه على أبناء بلدهم الأبرياء في المنطقة.

وما تجدر الإشارة إليه أن سلك القناصة الجزائريون قد تعرض إلى العديد من التعديلات والتصفية، والإلغاء والإقصاء، وذلك ابتداء من 05فيفري1867مأين حلّ اللواء الرابع الذي كان ينشط في عنابة، ثم أعيد تشكيله من جديد وذلك بتاريخ 26فيفري1867م ، علما أن الجزائري المتعاون الذي يرغب في التجنيد والانضمام إلى هذه الكتائب عليه أن يمضى عقدا مدته أربع سنوات، وأن يقبل الذهاب إلى أي مكان يرسل إليه يحارب إلى جانب الجيش الفرنسي طوال مدة العقد[23]

كما أولت الإدارة الاستعمارية اهتمامها بتعليم هؤلاء المتعاونين المجندين في صفوف الجيش الفرنسي وهذا ما جعل وزارة الحرب الفرنسية تصدر أمرا يقضي بضرورة الاهتمام بتعليمهم في سلك قناصة إفريقيا حتى يتمكنوا من أداء مهامهم على أكمل وجه، كما مكنهم هذا التعليم من حل المشاكل التي قد تعترضهم أثناء قيامهم بمهامهم العسكرية، مما جعل الوزير المكلف بالشؤون الحربية يصدر قرارا في 27جانفي1866ميقضي باستخدام مدارس خاصة لتعليم الأيتام الذين لهم صلة قرابة مع أولئك المجندين .

4.1-القناصة الصبايحية:

23-محمد الصالح البجاوي، مرجع سابق، صص167-169.

من أهم الفرق العسكرية المحلية التي خدمت العلم الفرنسي، فرق الصبايحية واعتبرت هذه الأخيرة من أبرز الفرق العسكرية والتي يعود تاريخ ظهورها إلى العهد العثماني، وعرفت أيضا باسم السبايس، وتعتبر هذه الفرق من ضمن الفرق المحلية المجندة في صفوف الجيش الإفريقي، وقد التحقت بخدمة الاحتلال الفرنسي منذ الأشهر الأولى من تأسيس فرق الزواف وقد وصفهم "ليونال أوجين"Leonel Eugène قائلا: **"أغلب عناصر الفرق الصبايحية من الأهالي البدو الرحل الذين من صفاتهم الاستقلالية والكسل والاتكال والامتعاض من كل عمل يدوي، فهم أناس يرون أنفسهم خلقوا لامتطاء الجياد وحمل السلاح، والصبايحية بعد أدائهم العمل العسكري يعيشون بصفة عادية، فهم يملكون الأراضي والمواشي على عكس المجندين في قناصة إفريقيا الذين كانوا أكثر شجاعة ونشاط من الصبايحية".**[24]

عمدت سلطات الاحتلال إلى تأسيس فرق الصبايحية الدائمين، فقد تأسست أول كتيبة نظامية بمدينة الجزائر بتاريخ 10سبتمبر1834م، وكان مؤسسها هو الجنرال "فوارول"(1781-1853)Thèophile Voirol، ووضعت هذه السرايا تحت قيادة الجنرال يوسف(1808-1866)Marie-Edouard Yousef.أما الكتيبة الثانية فقد تأسست بمدينة عنابة بتاريخ 10جوان1835م، أما الثالثة فقد تأسست في 07دسمبر1836م وكان مقرها بوهران، ومن المهام التي أوكلت للصبايحية: حفظ الأمن (هذا بالنسبة للأوربيين والفرنسيين)، مراقبة الطرق خاصة تلك التي تؤدي إلى الثكنات العسكرية الفرنسية، وتعتبر الأمرية الصادرة في 07دسمبر1841م النص القانوني النهائي الخاص بتنظيم سرايا الصبايحية النظامية[25].

لقد أجمعت جل الكتابات التاريخية المحلية منها والأجنبية على أن هؤلاء الصبايحية المتعاونون كانوا بارعين في السيطرة على الخيل، كما وكانت لديهم مهارة عالية في الغارات المفاجئة التي كان يشنها جيش الاحتلال لا سيما تلك التي كانت تحت قيادة الجنرال يوسف ضد الأمير عبد القادر[26].

5.1-سلك الرماة الجزائريين:

24Leonel Eugéne : **la question Algérienne ,les colonnes** , Paris , 1869 P 25

25-شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص180.

26ألكسي دو طوكفيل: **نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال و الاستيطان** ، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008، ص 182.

لعل أهم ما ميز هذا السلك المتعاون هو اعتماد الإدارة الاستعمارية على جعل هذه الفرقة المحلية خالية من العنصر الأوربي، وقد تم تأسيس فيلق الرماة الجزائريون بصفة رسمية بموجب الأمرية الصادرة في 07دسمبر1841م وذلك في كل المقاطعات الثلاث، ودائما ما كان يبدي هؤلاء المجندون المتعاونون القوة والثبات في خوض المعارك، كما استعملهم الجيش الفرنسي كدروع بشرية أمامية في المعارك والحروب، وعن هذا سارع العقيد دو وامبفنDe Wabefène للمطالبة من نابوليون الثالث Chareles (1808-1873) Louis Napoléon Bonapaetبالموافقة على إدراج المتعاونين الجزائريين ضمن الفصائل العسكرية المشاركة في حرب القرم حيث ذكر قائلا: **"لقد كنت قائدا لهؤلاء المجندين الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي لمدة سنوات عديدة...وأنني أعرف إمكانياتهم الجسدية والنفسية، وأعرف كذلك ما يمكن لفرنسا أن تجنيه من انتصارات باهرة إذا ما استخدمت هؤلاء...في حروبها بشرط أن يعرف قادتهم كيف يسيرونهم ويكسبون ثقتهم والتي سيدي الإمبراطور أضمن لكم بأننا نستطيع استخلاص نخبة ممتازة من هؤلاء المجندين الجزائريين"فرد عليه الإمبراطور: "إنني أوافق على تكوين هذه النخبة الممتازة من الرماة الجزائريين"**[27].

2-الإغراءات الفرنسية للمتعاونين الجزائريين:

عملت إدارة الاحتلال على منح المتعاونين المحليين جملة من الامتيازات المادية التحفيزية مقابل التعاقد أو إعادة التعاقد مع الجيش الفرنسي، وهذا ما نص عليه المرسوم الوزاري المؤرخ في 09جوان1866م.والذي فسح المجال لإعادة التعاقد لمدة سبع سنوات مقابل منحة تشجيعية بقيمة سبعمائة 700 فرنك فرنسي، يقبض المعني بالأمر خمسة مائة 50 بالمائة عند إمضاء العقد و خمسة بالمائة 50 الباقية تدفع له بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية، وفي حالة التعاقد مع الجيش لمدة تقل أو تزيد عن سبع سنوات فإن المنحة التحفيزية بلغت مائة 100 فرنك فرنسي عن كل سنة من الخدمة العسكرية شريطة أن لا تتجاوز مدة التعاقد أربعة عشر سنة[28].

- قبول المجندين المتعاونين في الجيش الفرنسي لمدة خمس سنوات على أن يستفيد كل متعاون، أو كل من تم تجديد عقده يستفيد من منحة تتراوح ما بين مائتين 200 وثلاثة مائة 300 فرنك مباشرة عند إمضاء العقد[29].

27-محمد الصالح البجاوي، مرجع سابق، ص 45.

28-شارل اندري جوليان، مرجع سابق، صص 172-172.

29--FanchetDesprey :l'armée d'Afrique, **Revue indigène** ,N258 - 259 , juillet-aout,1930 .

- كل مجند عندما ينهى مهامه العسكرية يتحصل على قطعة أرض مساحتها تتراوح من هكتارين إلى ثلاثة هكتارات، مقابل كل خمسة سنوات قضاها في خدمة جيش الاحتلال الفرنسي.

عموما يمكن القول أن النظام الداخلي للمتعاون المحلي في السلك العسكري الفرنسي يقوم على ثلاثة مراحل هي:

- **المرحلة الأولى: من 1841إلى 1861:** حيث لم يكن المجندين خلالها مرتبطين بأي عقد مع جيش الاحتلال، وكانت السلطات الفرنسية العسكرية تمدهم بالسلاح والملابس وكل التجهيزات والمعدات الضرورية.

-**المرحلة الثانية : من 1861إلى 1866**: أصبح خلالها المجند المحلي مرتبط بالجيش الفرنسي وذلك بواسطة عقد التجنيد، وإعادة عقد التجنيد مع الجيش الفرنسي، كما كانت السلطات العسكرية تمنحه الغداء والسلاح والملابس وكل ما يحتاجون إليه.

- **المرحلة الثالثة: من 1866 إلى 1900م**: أكثر ما ميز هذه المرحلة هو انه أصبح للمتعاون المحلي الحق في منحة التعاقد وذلك حسب مدة الخدمة العسكرية، وابتداء من سنة 1872م أدرجت لصالح المجندين المحليين عدة تعديلات اخرى خاصة بالوضع المادي أثناء أداء الخدمة العسكرية.

3- موقف الإدارة الفرنسية من الفرق العسكرية الجزائرية:

سعت إدارة الاحتلال منذ البداية إلى تنظيم و تطوير الفرق العسكرية الجزائرية و فصائلها بما يخدم المصلحة الفرنسية سواء داخل الأراضي الجزائرية أو خارجها، و لقد كانت للظروف البائسة التي كان يعيشها المجتمع الجزائري سببا قويا في انخراط هؤلاء المجندين في صفوف الجيش الفرنسي هذا من جهة، و من جهة أخري نجد انه قد التحق بصفوف الجيش الاستعماري ثلة من الشباب الذين ينتمون لأسر عريقة و غنية حيث كان هدفهم الرئيس هو الحصول على الأوسمة الشرفية و الألقاب الفخرية

و بعدما تمكنت سلطات الاحتلال من القضاء على مقاومتي الأمير عبد القار والحاج أحمد باي، سارعت القيادات العسكرية إلى الإشادات بقدرات وكفاءة هؤلاء المتعاونين مما جعلهم يطالبون بضرورة تنظيم الفصائل العسكرية المحلية عبر المقاطعات الثلاثة ولقد أدرك القادة العسكريون أهمية هذه الفرق في الجيش الفرنسي، حيث طالما تحدث هؤلاء القادة عن شجاعة وجسارة أولئك المتعاونين وقد وصفوا المجند

الجزائري: بالصبور، والشجاع، والمقدام. و فيما يلي رصد لمجموعة من أراء و الانطباعات الفرنسية عن الفرق العسكرية الجزائرية:

- الماريشال سانت آرنوSaint-Arnaud : " **و أنه لمن المحزن حقا لو أن مجلس الحرب كشف عن ما هو مستور...فحلفاؤنا من الأهالي الجزائريين دفعوا دائما حياتهم ثمنا لتعاونهم معنا نحن الفرنسيين**"

- في المقابل يذكر الماريشال ذاته قائلا : " **إن العرب الجزائريين يكرهوننا ، و هم لا يتوقفون عن محاربتنا ...و كلما تغلبنا عليهم في موقعة ما جمعوا صفوفهم و أعادوا الكرة**..." و هذا ما يوضح نوعية العلاقة التي كانت تربط القادة الفرنسيين بالفرق العسكرية، إنها علاقة قائمة فقط على مصلحة العلم الفرنسي.[30]

- الماريشال بيجو Thomas-Robert Bugeaud de la Piconnerie :" **الآغا مصطفى بن اسماعيل ليس مجرد رجل شجاع فقط، و لكنه أيضا رجل محترم وصاحب نصائح وجيهة**"[31]

- شارل اندري جوليان :" **لقد تأكد لدى المغرر بهم و اللذين التحقوا بالجيش كي يتخلصوا من فكي المجاعة و الحرمان، أن التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي بغرض التمتع بحياة جميلة و سهلة طيبة ماهي إلا كذبة و مراوغة من الفرنسيين، فالحقيقة أن المجندين و جدوا العيش في الجيش عكس ما كانوا به يوعدون، من ذلك:المناداة على أسماء المجندين ليلا نهارا، والحراسة الليلية، وكان الابتعاد عن العائلة و الأهل هو كل ما غنموه من هذا التجنيد ...بالإضافة غلى هذه المعاناة ...هناك ضروب أخرى زادت من شقائهم ...منها أنهم كانوا يقومون بالتدريبات العسكرية اليومية و هم يضعون على أجسادهم أسمالا بالية ...تجعلهم يبدون مضحكين لكل من يراهم على تلك الصورة ...ثم إن هذه آلام النفسية كثيرا ماكانت تدفعهم إلى الهروب من الجيش...رغم أن**

30Saint Arnaud : **lettres du maréchal 1832-1854**, T.02 , 3 éd . Paris 1864.pp 99-100

ينظر: سانت أرنو : **مذكرات سانت أرنو 1844-1841** ، ترجمة عبد القادر ليفا ، بداه المهدي ، الجزء الثاني ، دارالمعرفة ، الجزائر 2013 ص ص207-206

31محمد الصالح البجاوي، المرجع السابق ، ص ص 219-224

نظرة الأهالى الغاضبين على كل متعاون مع الفرنسيين تجعله يتحاشى الوقوع في أيديهم خشية أن يقتل على خيانته و غدره لبنى وطنه..."[32]

- أوجين إيميل إدورارد بارت Eugéne Emile Edouard Perret : " **إن الزواف الذين يحملون اسم الكتيبة القديمة لزواوة ، هذا لا يعني أن هذا الفيلق متكون من القبائل بالعكس تماما ، فهم أقلية ...فيه أهالي السهول ، الاندلسين، الكراغلة...انخرطوا كلهم في الزواف ، إن هؤلاء انظم إليهم كذلك عدد كبير من الفرنسيين"**[33].

4- موقف رؤساء الطرقية الموالين للسلطات الفرنسية من هؤلاء المجندين:

حرصت الإدارة الفرنسية على التقرب إلى شيوخ الزوايا، خاصة أولئك اللذين توسمت فيهم العمالة و الخيانة، حيث عمدت إدارة الاحتلال إلى استصدار فتاوي من قبل شيوخ هذه الزوايا المناوئة .لقد لعب الاحتلال الفرنسي على وتر الدين من أجل تجنيد المزيد من الجزائريين في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي ، و إخماد المقاومة الشعبية لاسيما مقاومة الأمير عبد القادر، و ضرب العرب بالعرب من أجل تحقيق المشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر، و كان كل هذا بمباركة هؤلاء الشيوخ المتعاونون الخونة، لقد كان هؤلاء يوالون الاحتلال بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، من عدوان و ظلم و ردع ضد إخوانهم، فكانوا يحثون الجزائريين على القتال في صفوف جيش الاحتلال .

الخاتمة: من خلال ما سبق التطرق له نلاحظ أن الفرق العسكرية الجزائرية المتعاونة مع الاحتلال الفرنسي، والتي عملت جنبا إلى جنب مع قواته للقضاء على الثورات والمقاومات الشعبية. والمساهمة في تنفيذ مشروع الاحتلال الشامل من شمال الجزائر إلى جنوبها، وذكرنا. أن هذه القوات تشكلت من قوات الزواف، المشاة، فرسان الصبايحية، فرسان القوم، وفرسان المخزن. ومع مرور الوقت أصبحت هذه القوات المحلية المتعاونة تقتصر على فرسان الصبايحية فقط، لقد كان هؤلاء جميعهم متطوعون في الجيش الفرنسي يحاربون لصالحه داخل

32شارل أندري جوليان، المرجع السابق، صص 457-498

33Eugéne Emile Edouard perret : **les français en Afrique récit Algérienne** ,Paris 1887 , p 104 ,voir aussi,Le Baron Henri aucapitaine : **les kabyles et la colonisation de L'Algérie, études sur l'avenir des Kabylie**,challamel aine ,Alger, libraire –éditeur , Paris 1864.

الأراضي الجزائرية وخارجها، واطلاقا من القناعة التي وصلت إليها إدارة الاحتلال في تحقيق مشروعها التوسعي.

يمكن القول أن المجندين المحليين الأوائل الذين التحقوا بصفوف الجيش الفرنسي كانوا النواة الأولى للمجندين للذين سيخدمون في الجيش الاحتلال الفرنسي عقب 1870 ويقاتلون لصالحه، لقد وجدت السلطات الفرنسية من الوهلة الأولى من الاحتلال من يخدم مصالحا ومشاريعها العسكرية والسياسية.

أما عن موقف الجزائريين من هؤلاء المتعاونين فكانوا ينظرون إلى كل متعاون مع السلطات الفرنسية أو مجند في صفوف جيش الاحتلال على أنه خائن مرتد عن دينه لابد من قتله فق كانوا يخشون من الوقوع حتى في أيدي أقرب المقربين منهم، رغم كل الفتاوى التي استصدرتها من رؤساء الطرقية الموالين لها.

عملت إدارة الاحتلال على منح هؤلاء المجندين المحليين المتعاونين جملة من الامتيازات المادية التحفيزية مقابل التعاقد وإعادة التعاقد في صفوف الجيش الفرنسي، وكان من وراء سياسة التجنيد هذه أهداف سياسية وعسكرية يمكن حصرها في:

- القضاء على المقاومة الشعبية وبالأخص مقاومة الأمير عبد القادر.

- اقحام هؤلاء المجندين في المشاركة في حروب فرنسا خارج التراب الوطني، لاسيما بعدما أصبح حضورهم أكثر من الضروري.

- استغلال القيادة العسكرية الفرنسية هذه الطاقات ليكونوا في الصفوف الأمامية لجبهات القتال، وكأن بهذه الاستراتيجية تريد إنهاء أمرهم سواء في حالة الانتصار أو الانهزام

باللغة العربية :

1-أرنو سانت: مذكرات سانت أرنو 1844-1841، ترجمة عبد القادر ليفا ، بداه المهدي ، الجزء الثاني ، دار المعرفة ، الجزائر 2013 .

2-الأشرف مصطفى الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنيفي بن عيسى، الجزائر، 1983.

3-- بجاوي محمد صالح: متعاونون ومجندون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1918، دار القصبة، الجزائر، دت.

4-جوليان شارل اندري : تاريخ الجزائر المعاصرة، الغزو وبداية الاستعمار 1827-1871 الجزء الأول ترجمة المعهد العالي للترجمة ، دار الأمة الجزائر ، 2008.

5-دو طوكفيل ألكسي: نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال و الاستيطان، ترجمة ابراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2008،

6-.عميراوي أحميدة، من تاريخ الجزائر الحديث، ط2، دار الهدى، الجزائر، 2004،

7-المبشر، العدد 1865/04/22،

8- حرب أديب: التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري1808-1847 ، ج1و2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1983.
9--سلاماني عبد القادر، الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832-1847، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2010،
10- عباد صالح :الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830 ، ط2 ، دار هومه، الجزائر، 2007 .11-الفجر نيوز العدد 2010/07/04.

المراجع باللغة الأجنبية:

1-Ageron Charles Robert : « les militaires algérienne dans l'armée française de 1954-1962 »,collection mémoire,2003 .voire aussi ,Charles Robert Ageron : « le drame des harkis » ;Revue d'histoire ,N68,2000 .
2-Aucapitaine Le Baron Henry : les kabyles et la colonisation de L'Algérie, études sur l'avenir des Kabyles, Paris 1864.
3-Azan Paul, conquête et pacification de l'Algérie , paris,1929
4-Belkacem Recham ,les musulmans dans l'armée française (1830-1945),mercenaires 04 citoyens,Migrance,N38.
5-Blang (M), souvenirs d'un vieux zouave , tome 1,ED , saint-michel, paris, 1880 .
6-Camille Rosset,l'Algérie les commencement d'une conquêt de 1830 à 1840,paris, SD .
7-DespreyFanchet, l'armée d'Afrique, Revue indigène ,N258 -259 , juillet-aout,1930
8-Duc D'aumale :les zouaves et les chasseurs à pied,ED,Michellévyfrères1855.
9-Duruy(V), le premier tirailleurs algérienne ,paris,1889-Juin Oclan : livre d'ord des tirailleurs indigènes algériennes de la province d'Alger, tome ,1 ED,bastide,Alger,1866.
10-Eugene Leonel ,la question Algérienne ,les colonnes , Paris 1869
11-EugèneEmile Edouard Perret ,les français en Afrique récit Algérienne, Paris 1887 .
12-Fremeaux Jacques, « les étrangers dans l'armée française ,les premiers troupes supplétives en Algérie »IN Revue historique des Armées, N 255 ,2009 .
13-Josef (S), Histoire de deuxième régiment de zouaves, ED, lachasset, paris, 1848,
14-Juin Oclan, livre d'or des tirailleurs indigènes algériennes de la province d'Alger, tome , 1 ED, bastide, Alger, 1866.
15-Paul Laurencin : Nos Zouaves, paris, 1888 .
16-Saint – Arnaud : lettres du maréchal 1832-1854, T.02, 3 éd. Paris 1864.
17-Les troupes indigènes de l'Algérie au service de la France : tirailleurs, spgihs goumiers sahariens, .aussi la bataille de sikkak ,06 juillet 1836,par LT colonel Aubier ,pp 12-24.